ولم اسلك السكوت وقال خرجت من الشام على طريق المغارة فوقعت في التيه فمكثت اياما حتى
اشرفت على الموت فاذا انا براهبين يسيران كانهما خرجا من مكان قريب يريدان ديرا قريبا قلت
اين تريدان قالا لا ندري قلت فمن اين اقبلتما قالا لا ندري قلت اتدريان اين انتما قالا نعم
نحن في ملكه ومملكته وبين يديه فاقبلت على نفسي ادعوها واقول لراهبان يتحققان بالتوكل دونك
فقلت اتاذنان لي في الصحبة قالا ذلك اليك فتبعتهما فلما جن الليل قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاتي
فصليت المغرب بتيمم فضحكا مني فلما فرغا بحث احدهما الارض بيده فاذا بما قد ظهر وطعام موضوع
فتعجبت فقالا ادن وكل فاكلنا وشربنا وتهيات للصلاة ثم نضب الما فلم ير الا في الصلاة وانا
اصلي على حدة حتى اصبحنا فسرنا الى الليل فلما جن صلى الاخر بصاحبه ثم دعى بدعوات وبحث الارض
فنبع الما وحضر الطعام فلما كانت الليلة الثالثة قالا يا مسلم هذه نوبتك فاستحييت ودخلني
في بعضي وقلت اللهم اني اعلم ان ذنوبي لم تدع لي عندك جاها لكني اسالك ان لا تفضحني ولا
تشمت هذين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته فاذا بعين خرارة وطعام كثير فاكلنا وشربنا
واسلما اسند الحديث عن جمع كثيرين ٭

محمد بن خفيف الضبي الشيرازي الشافعي شيخ المشايخ ذو القدم الراسخ علما ودينا وجمعا
بين الحقيقة والشريعة كان سيدا جليلا واماما نبيلا يستمطر الغيث بدعايه من اعلم الاعلام بعلمي
الظاهر والباطن وكانت له بدايات كالنهايات واحوال عاليات ورياضات ومجاهدات لقي
من النساك شيوخا ومن السلاك طوايف اضحى قدمهم في الطريق رسوخا وكان من ارباب
الاحوال اخبارا واحيارا وشرب من منهل الطريق كووسا كبارا وسافر مشرقا ومغربا وراض
النفس حتى انقادت بعد الابا فاصبح لسان الثنا عليها معربا والزم قلبه المراقبة حتى لا يدري
وهيكله المجاهدة حتى لا يعرف الماوى ولا المسكن الا القفار وكان ذا ذكر باجتماع ووجد
وسماع وقد قيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل على اتباع كان من بني الامرا
فتفقه ثم تصوف وتزهد حتى صار يجمع الخرق على المزابل ويستتر بها ولم يزل حتى صار شيخ المشايخ
في وقته عارفا بعلوم الظاهر والحقايق اخذ عن ابن سريج والاشعري والواسطي والجريري
وعطا المقدسي ولقي الحلاج وعنه القاضي الباقلاني وغيره وقال ابو نعيم رحمه الله تعالى
كان شيخ الوقت حالا وعلما وهو الخفيف الظريف له الفصول في الاصول والتحقق والتثبت
في الوصول الفصول في الاصول قال السوي بلغ ما لم يبلغه احد في العلم والجاه
والقبول عند الخاص والعام وصنف ما لم يصنفه احد وصار اوحد زمانه مقصودا من الافاق معتقدا في كل
من العلوم مباركا على قاصديه رفيعا لمريديه وعمر حتى عم نفعه وبقي في بدايته اربعين

سنه

سنة يفطر كل ليلة بكف باقلا حتى جف دمه ويقرا القران كله في ركعة ويصلي كل يوم الف ركعة
ومن كراماته انه دخل بغداد فاقام بها اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب ثم خرج فوجد ظبيا
على راس بير في البرية وهو يشرب وكان عطشانا فدنى من البير فولى الظبي فاذا بالما اسفل
البير فقال يا سيدي ما لي عندك محل هذا الظبي فسمع قايلا جربناك فلم تصبر ان الظبي جا
بلا ركوة ولا حبل وانت جيت بهما فرجع فاذا بالبير ملان فشرب وتطهر وملا ركوته وحج ورجع
ولم ينفد ما وها فدخل على الجنيد رحمه الله فلما وقع بصره عليه قال لو صبرت ساعة لنبع الما
من تحت قدميك وجرى خلفك ودعاه يوما بعض البراهمة فقال البرهمي ان كان دينك حقا
فتعال اصبر انا وانت على الطعام اربعين يوما ففعلا فاكملها الشيخ وعجز البرهمي وناظر برهمي
اخر الى المكث تحت الماء مدة فمات البرهمي قبل تمامها واتمها هو ومن كلامه التقوى تجنب ما يبعد
عن الله والتوكل الاكتفا بضمانه واسقاط التهمة عن قضايه وقال القرب طي المسافة بلطيف المداناة
وقال قربك منه ملازمة الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق وقال الانبساط سقوط الاحتشام
عند السوال وشكي اليه فقير الوسوسة فقال عهدي بالصوفية يسخرون بالشيطان والان الشيطان
يسخر بهم وقال التصوف تصفية القلب عن موافقة البشرية ومفارقة اخلاق الطبيعة واخماد
صفات البشرية وتجنب الدعاوي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقايق
وقال ليس شي اضر على المريدين من مسامحة نفسه بالرخص والتاويلات وقال الذكر قسمان ذكر الله
باسمايه وذلك هو الذكر الظاهر وذكره بان تراه على الدوام وهو بين يديه وذلك هو الذكر
الباطن وقال قال لي المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم من عرف طريقا الى الله فسلكه ثم رجع
عذبه الله بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين وقال عليك بمن يعظك بلسان فعله لا بلسان
قوله وقال الايمان تصديق القلوب بما اعلمها الحق من الغيوب والانابة التزام الخدمة وبذل
المهجة والرجا ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو وحقيقته الاستبشار بوجود فضله وصحة
وعده والزهد سلو القلب عن الاسباب ونفض الايدي عن الاملاك وحقيقته التبرم عن
الدنيا ووجود الراحة في الخروج منها والقناعة الاكتفا بالبلغة وحقيقتها ترك التشوق
الى المفقود والاستغنا بالموجود وسيل عن الذكر فقال المذكور واحد والذكر مختلف ومحل قلوب
الذاكرين متفاوته وقال السكر غليان القلب عند معارضة ذكر المحبوب وقال الخوف
اضطراب القلب بما علم من سطوة المعبود وقال لي منذ اربعين سنة ما ملكت قميصين
وقال الرياضة كسر النفس بالخدمة ومنعها عن الفترة والتقوى تجنب ما يبعد عن الله والتوكل
الاكتفا بضمانه واسقاط التهمة عن قضايه واليقين تحقق الاسرار باحكام المغيبات والمشاهدة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)